أ. أناهيد السميري

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله –عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

من عناصر الدرس:

- المهمة التي يجب أن تقوم بها الأم تجاه أبنائها.
- ست خطوات في تربية ابنك:

1. تعلَّمي يتعلَّم منكِ.

- تعلَّمي هذه النفس الإنسانية التي ابتليتِ بتحمل مسؤوليتها (مثل سورة النور).
- تعلَّمي عن أسماء الله وصفاته.
- تعلَّمي عن أمراض القلوب.

2. استعيني يُنتفع بكِ.

- نحتاج الاستعانة في كل الحياة.
- العلاقة بيننا وبين هؤلاء الأطفال علاقة بعبادة الاستعانة بالله.
- أن كل ما ابتلاك الله به في طريقك إنما هو أمر أراده الله لكِ لتستعيني به.
- الاستعانة لا تنافي الأخذ بالأسباب.

3. أخلصي يبارك لكِ.

- تخلصين نيتك في التربية من شوائبها.
- تحتاجين إلى تجديد النية في كل المواقف {قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا}.

4. اعملي يقتدي بكِ.

- أعمال الأبدان وأعمال القلوب.
- كيف سيقتدي بك في عمل القلب؟ عن طريق تعظيم الأمور وتهوينها.

5. ادعي له يلن لكِ.

- عندما حَمَّلك الله مسؤولية أولادك فتح لك ثلاث طرق (فطرة سوية، الاستعانة، الدعاء).

6. اصبري يقبل منك.

- المطلوب منكم الصبر، احذروا من إشغالهم بما يفسد عليهم عقولهم وأدياهم من أجل أن تُكفي شرهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقاؤنا إن شاء الله اليوم بعنوان (**ست خطوات في تربية ابنك**).

وهذه الست خطوات أردنا بها تلخيص المهمة التي يجب أن نقوم بها تجاه تربية الأبناء، بمعنى أني سأتكلم عنكِ أنتِ ك "أم" والأفعال التي يجب عليكِ القيام بها من أجل تربية الأبناء؛ ولن أتكلَّم عن تصرفات وأحوال الأبناء.

نحن دائمًا نركز على حل المشكلة مع الطفل، تحدث مشكلة وأركز في حلها دون أن أتصوَّر أن المفترض أن يكون عندي شيء كثير من الاستعداد والأعمال التي أقوم بها لنفسي ثم يحصل انعكاس لهذه الأعمال وتكون تربية الأبناء تربية كما ينبغي، وعندما ندخل في التفاصيل سوف تتصوروا إن شاء الله المسألة.

أذكر كل الستة خطوات مرةً واحدة ثم نتناقش فيها:

1- تعلَّمي يتعلَّم منكِ.
2- استعيني ينتفع بك.
3- أخلصي يُبارك لكِ.
4- اعملي يقتدي بكِ.
5- ادعي له يَلن لكِ.
6- اصبري يقبل منكِ.

لاحظي في كل السِّت خطوات الكلام لِمن؟ للأم، وهذا الذي ينقصنا في التربية، دائمًا تفكيري في الطفل وماذا يجب أن أعمل له، وفي الحقيقة أن الواجب عليَّ كأم أن يكون لي بناء خاص بَنَيْتُه، ثم سيأتون هؤلاء الأبناء انعكاس وتأثر لبنائي الخاص.

1- تعلَّمي يتعلَّم منكِ.

(تعلَّمي) هذه كلمة واسعة لكن المقصود أنكِ تريدين أن تربي شخص، ونحن الآن نريد أن نحدد هدفنا لكي نرى ماذا سنتعلم، أنت تريدي أن تربي هذه البِذرة التي أنعم الله بها عليكِ لتكون نعمة حقيقية في الدُّنيا والآخرة، حتى إذا انقضى عمرك الذي كتب لك؛ لا ينقطع عملك، بمعنى أني أربِّيه الآن لأن لي عُمْر محدود في الحياة، لكن أُعطيت فرصة أن مع انتهاء عمري المحدود، لا ينقطع عملي.

كيف لا ينقطع عملي؟ ببقاء هذا الابن عابدًا، ساجدًا، مصليًّا، صائمًا، متقرِّبًا إلى ربه؛ سيعود عليَّ هذا كلهُ، ثم لا تسأل عن دعاؤه لأبويه وهم في ظلمة القبر كيف سيكون نور لهما، كل هذا أمر يجب أن يكون على بالنا، وهذا هو مقصدنا.

طبعا هناك مقاصد كثيرة لكن أهم مقصد

أهم مقصد: أن يبقى هذا الابن امتداد لحسناتنا

فإذا كنتِ تريدين أن يكون امتدادًا لحسناتنا أكيد ستربينه نوع تربية معين، والمقصود أنكِ تريدين أن تربّيه مستقيمًا صالحًا مباركًا سائِلاً عابدًا...هذا الذي نريده.

يأتي هنا السؤال: ماذا أتعلم ليتعلَّم مني؟

أولاً، نريد أن نتصوَّر النفس الإنسانية من المصادر الشرعية، فأنا عندما ابتليت بهذا الابن الذي أعطاني الله إياه ماذا أفعل به؟! نفسي أنا في أحيان كثيرة لا أستطيع أن أحملها على الاستقامة كيف أستطيع أن أحمل غيري على الاستقامة؟! من المؤكد أننا نشعر أن هذا الأمر ليس بأيدينا، لكن الله تعالى عندما ابتلاك بهذا لم يتركك سُدى، إنَّما في الحقيقة أنه عندما ابتلاك أعطاك المؤهلات عند الطرف الثاني التي تساعدك على التربية.

سيتبين لكم هذا الكلام عندما نذكر المثَل:

عندما نأتي إلى آية سورة النور في قوله تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ}[1] ما علاقة هذه الآية بكلامنا عن التربية وكلامنا عن التَّعلم؟

سنقول: إن أول شيء تتعلَّميه؛ النفس الإنسانية عبارة عن ماذا؟ والهداية هذه عبارة عن ماذا بالنسبة للنفس الإنسانية؟ ومن أين ستأتي؟

يجب أن نفهم المثل ثم على أساسه يكون ماذا يجب علينا أن نعتقد ونتعلم.

الله تعالى يقول فيه: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} بمعنى أنه-سبحانه وتعالى-نورها الحسيّ والمعنويّ، فهو الذي بنوره أضاء العرش وأضاءت السماوات وأضاء كل شيء، وهو الذي بنوره-سبحانه وتعالى-الذي وهبه لعباده انتفعوا بالقرآن، فقرآنه نور وما يقوله الرسل نور، إذًا هذا نور حسي وهذا نور معنوي.

{مَثَلُ نُورِهِ} في قلب المؤمن {كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ}، المشكاة عبارة عن ماذا؟ مِثل الكُّوة التي تُفتح في الجدار غير النافذة، مثل الشباك لكن لا يوجد له فتحة على الخارج، يضعون فيه المصباح؛ كأنها فتحة في الجدار إلى الداخل، تجويف لكنه مغلق ويضعون فيه المصباح، المهم هذه المشكاة فيها مصباح، والمصباح هذه كلمة تُطلق على الفتيلة وهي مشتعلة، {الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ}.

كيف وُصِفت الزجاجة؟ {الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ} من شدة صفائها ولمعانها؛ المصباح يتكون من ثلاث أشياء:

1) من الفتيلة التي فيها النار.
2) ومن الزجاجة.
3) ومن الزيت.

(1) [سورة النور: 35]

فوصفت لك الفتيلة أنها مشكاة فيها مصباح، المصباح هذا في أي زجاجة من أي نوع؟ كأنها كوكب الدري من شدة صفائها، ثم الزيت {يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ} وُصِفت شجرته أنها {زَيْتُونِةٍ} بمعنى أنها من الزيتون؛ {لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ} بمعنى أن الشمس لا تأتيها فقط وقت المشرق أو وقت المغرب فقط، بل في كل الأوقات تأتيها فهذا يزيد صفائها ويزيد قوة إضاءتها.

إذًا مصباح بمعنى شعلة نار وهذا في زجاجة بمعنى أنها وصفت بشدة الصفاء ثم زيت صافٍ حتى أنه {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ}، ولك أن تتصوري هذه الصورة.

ما معنى أنه يضيء ولو تمسسه نار؟ بمعنى لو وضعت هذا الزيت في زجاجة بدون نار ثم وقعَت عليه الشمس ترين إضاءة؛ من شده صفائه، بمعنى أنه منفذ للضوء.

الآن هذه الصورة المادية المحسوسة التي توصف في شدة الإضاءة هي: **مثل نور الله في قلب المؤمن**؛ كل هذا مَثل لنور الله في قلب المؤمن.

في المثل ثلاث عناصر:

1. المصباح الذي هو الفتيلة المشتعلة.
2. والزجاجة الصافية.
3. والزيت الصافي.

ماذا يُمثل هؤلاء الثلاثة؟

عندما تفهمون ماذا يمثل سوف تفهمون لماذا يبتدئ درس التربية بها:

1. فأنتِ تجدين أن الزَّيت الصافي هو **فطرة الإنسان** التي فطر الله عليها العباد بمثابة الزيت الصافي الذي يكاد يضيء لو لم تمسسه نار، يكاد يعرف الحق حتى لو ما جاءه علم، إذًا هذا الزيت.
2. وأما الزجاجة فهي **قلبه** الذي لم يتعرض بعد للشهوات والشبهات.
3. وأما الفتيلة فهي **نور العلم والإيمان** الذي من المفترض أن أشعِله أنا في قلب الطفل.

فالمثل ضُرب في كتاب الله لنور الإيمان في قلب المؤمن فوصف قلب المؤمن مثل الزجاجة؛ قال تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ} يعني في قلب المؤمن {كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ} مصباح: يعني فتيلة مشتعلة {الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ} هذه الزجاجة التي كأنها كوكب دري هي قلب المؤمن ثم وصف الزيت أنه {مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} هذا عبارة عن فطرة هذا المؤمن، هذه الفطرة سوية وهذا القلب صافي ماذا يحتاجان؟ يحتاجان إلى جذوة، إلى نار، نار العلم والإيمان، فإذا اشتعلت نار العلم والإيمان انتفعت بالفطرة السوية وانتفعت بالزجاجة الصافية؛ فلا تسأل عن شدة نورها وشدة الإضاءة التي تتبعها وعلى قدر هذه الإضاءة يمشي المؤمن في نوره يوم القيامة كما ورد في الحديث: ((يُجْمَعُ الناسُ يومَ القيامةِ إلى أن قال: فيُعْطَوْنَ نُورَهم على قَدْرِ أعمالِهم، وقال: فمنهم مَن يُعْطَى نُورَه مِثْلَ الجبلِ بينَ يَدَيْهِ، ومنهم مَن يُعْطَى نُورَه فوقَ ذلك ، ومنهم مَن يُعْطَى نُورَه مِثْلَ النخلةِ بيمينِهِ، ومنهم مَن يُعْطَى دون ذلك بيمينِه، حتى يكونَ آخِرُ مَن يُعْطَى نُورَه على إبهامِ قَدِمِه ، يُضِيءُ مَرَّةً ويُطْفِئُ مَرَّةً))[1]

(1) صححه الألباني في شرح الطحاوية (415)

وهذا كله على حسب ما في قلب الإنسان من إيمان.

مقصدنا أن تبدئي بالخطوة الأولى، اتفقنا أننا عندنا ست خطوات لتربية الأبناء وهذه ست خطوات مقصدي فيها الكلام عن الأم وليس الكلام عن الطفل؛ بمعنى أنا متى أصلح لأن أكون مربيًا؟ لأن نحن دائمًا نناقش: لو فعل الطفل كذا لو عمل كذا أنا ماذا أفعل، نحن الآن نناقش المسألة بالعكس نقول: أنتِ كأم المفترض أن ستعدِّي لهذا الدَّور سواءً قبل الدخول إلى هذا الدور أو في أثنائه، المهم افهمي أن عليكِ دور يجب التجهز له، بدأنا في أول خطوة قلنا: تعلَّمي يتعلم منكِ.

ماذا تتعلمين؟

تعلمي أولًا النفس الإنسانية.

بمعنى ما هي النفس الإنسانية كما وصف الشرع؟ ولكي نتعلمها أخذنا مَثل سورة النور.

فأنتِ الآن أصبح دورك أن تتعلمي لكي تبُثِّي في قلبه العلم، فيستفيد هو من زيته وهو الفطرة السليمة، ويستفيد أيضًا من قلبه الصافي، فدوري أن أقول لكِ طفلك هذا عندما أتى لك ماذا معه يعينك على تربيته؟

معه أمرين:

1) يأتي ومعه فطرة سليمة.
2) وقلب صافي.

بقي ما هو دوري تجاهه؟ أن أشعل نور الإيمان في قلبه بإشعال نور العلم أولًا، نتناقش ماذا يجب أن أتعلم من أجل أن أعلمه، ولا زلت من هنا سأخرج وسأقول: إن الطفل معه فطرة سوية، وهذه الفطرة السوية هي التي سوف تكون بداية شق طريق تعليمه، بمعنى أنا سوف أشق طريق تعليمه من عند فطرته السوية، لو أردنا أن نمثل الآن الفطرة السوية ماذا نقول؟ أهم شيء في وصف الفطرة السوية أن صاحبها ما حاله؟

صاحب الفطرة السوية يشعر بمشاعر، من أهمها هذه الشعورين:

الشعور الأول:

شعور بالضعف الشديد والحاجة الشديدة، فكل النَّاس على حد سواء هذه مشاعرهم يشعرون بالضعف والحاجة الشديدة قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}[1]،كل الناس مشاعرهم أنهم ضعفاء، يأتي في مواقف كثيرة يجدون أنفسهم –وبالذات الطفل– في شدة الضعف والحاجة، دائمًا عنده حاجات، ليس هو فقط بل نحن ومعركتنا الدائمة مع الحاجات طوال الوقت تنشأ لنا حاجات، هذا أول شيء في الفطرة، أن كل العباد يشعرون بشدة حاجتهم وضعفهم.

الشعور الثاني:

أنه لا بد أن يكون هناك قوي يُصمَد إليه، وهذا القوي الذي يُصمد إليه ما صفاته؟ لا بد أن يكون كامل الصفات من أجل أن ألجأ إليه، بمعنى أن الفطرة السوية تقول: لا بد أن يكون في الكون أحد قوي مطلق القوة كل شيء يستطيع أن يفعله، ولا بد أن يكون واحدًا، أمره هو فقط الذي ينفذ، لا يكون أحد فوقه فيمنع أمره، لا بد أن يكون واحدًا ويكون كامل الصفات، حتى لا يأتي أحد فوقه وينفذ أمره على أمره، لا بد أن يكون واحدًا لكي يكون له السلطة التامة.

هذا تعبيرنا لكن المشاعر تدور في الداخل بدون القدرة على التعبير عنها.

---

(1) [سورة فاطر: 15]

وانظروا إلى إجرام أفلام الكرتون، عندما تتذكروا فيلم (ميكي ماوس) هذا الفيلم أخذ هذه الفكرة، بحيث أنه قوي في العلو مطلع على هذه الذي يحميها يأتيها في الوقت المناسب ويدفع عنها، هذه كلها صفات كمال: العلو، المراقبة الدائمة، الاطلاع على الأحوال، القدرة على تغيير الأحوال؛ كل هذه صفات كمال، فالآن هذه هي مشاعر الفطرة.

فإذا وجدنا أطفال المسلمين وأهاليهم علَّموهم مباشرة سوف ينتفعون بفطرتهم، إذا كانوا ليسوا مسلمين ولم يمجسوهم ولم ينصروهم بمعنى يكون أهاليهم نصارى لكن لا ينصرونهم بمعنى أنهم لا يدخلون في قلوبهم مبدأ التثليث إلى آخره، يتركونهم مثل ما هو موجود بكثرة اليوم، هؤلاء يبقى هذا الفكر دائمًا يتردد في عقولهم: **لا بد أن يكون هناك قوي كامل الصفات**.

بمعني شعوره بالحاجة شعوره بالسلطة بمعنى كل سلطة أعلى تلغي التي تحتها مهما كان في سلطة عالية لا بد أنه توجد أعلى منها تلغيها-ويمكن أن تكون في الظاهر عالية لكن من تحت مثلا في جماعات الضغط، ماذا يفعلون بالسلطة العليا؟ يجعلوها تنهار.

فالناس الآن يرون حولهم أن لابد لكل سلطة في الدنيا أن يكون فوقها سلطة أعلى منها؛ فيبقى عندهم سؤال استفهام: أنه لابد أن يكون هناك واحد كامل الصفات له السلطة التامة أمره نافذ، فمن هو؟ هذه هي فطرتهم فمن أجل ذلك تجد قوم بسبب الحركة التي في قلوبهم يبحثون عن إجابة فتكون فطرتهم السوية هي التي دفعتهم إلى الإسلام.

إذاً من هنا فهمت نفس هذا الطفل، أنا الآن ماذا أتعلم من أجل أن أنفعه؟ **على رأس ما نتعلم:**

العلم عن الله (عن أسمائه وصفاته).

وكأني أقول لكِ: ربّيهِ بسورة الإخلاص، وآية الكرسي، وأواخر الحشر، وأول الحديد، يعني ربيه بالعلم عن أسماء الله وصفاته.

نبدأ بسورة الإخلاص وهذا من أهم ما يحفظه الطفل ويبقى منِّي التَّكرار عليه ليس فقط للحفظ وأيضا للفهم، في سورة الإخلاص ما يسد تمامًا الحاجة الفطرية، الآن الحاجة الفطرية ماذا تقول؟ كل الناس مشتركين في شعوريين مع بعض، شدة الحاجة مع شعورهم أنه لا بد أن يكون هناك واحد يصمد إليه يسد الحاجة، قوي كامل الصفات، سلطته نافذة على كل أحد.

الآن في سورة الإخلاص ماذا ستقولين له؟ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} فستبقي تكررين أن الله أحد يعني واحد، وإلهك الواحد ما وصفه؟ هذا الكلام كله أنت تمتلئين به وبعد ذلك بكل الفرص التي أنت تعرفينها في المعايشة مع الطفل ستستطيعين بث هذا الكلام ونحن سيأتينا في الخطوة الثانية: استعيني ينتفع بك، تصوري الآن المسألة لأن هذه الخطوة الأولى سأعطيك إياها وهي كبيرة لكن في الخطوة الثانية سوف تسهل في الكلام حول الاستعانة.

سورة الإخلاص ستحقق بالضبط مرادنا في الانتفاع بفطرة هذا الطفل الذي فهمنا فطرته السوية في سورة النور {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} بمعنى أن فطرته تقول إن هناك إله؛ والإله واحد وكامل الصفات لا بد أن يكون واحد قوي كامل الصفات فعندما تقرئين: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ستسد هذه الثغرة، {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} يعني أنت لك واحد تلجأ إليه تصمد إليه.

ومن معاني اسم الصمد: الذي له كمال السؤدد، كمال الشرف، وكمال القوة وكمال الجبروت وكمال كل الصفات وهو الذي يُلجأ إليه، يعني اسم الصمد يدور على معنيين:

المعنى الأول: كمال الصفات.

المعنى الثاني: اجتماع كل أحد عليه.

فهذا الطفل الآن يعلم أن ربه صمد يُلجأ إليه يحتاجه كل أحد وهو-سبحانه وتعالى-لا يحتاج أحد؛ وهذه المعاني لا بد أنا أتشربها بعمق لأن تربيتك للطفل إنما هي انعكاس لِما تحملينه أنتِ ولا بد أن تفهمي أنك لو امتلأت جيدًا سترَين كيف الله تعالى يُهيئ لكِ من الظروف والأحوال والأوضاع وأسئلة الطفل وما يمر بكم من مضائق تجعل الطفل يزداد يقينا بما تقولينه، لكن على قدر امتلاؤك أنتِ بهذه المسألة، وسيأتينا أيضًا الكلام حول الإخلاص والصدق في مقاصدنا.

نحن فهمنا ما هي النفس البشرية من آية سورة النور فهمنا أنها مركبة من فطرة سوية ومن قلب سليم ثم هذه الفطرة السوية والقلب السليم وهم الزيت والزجاجة، بقِيَ الفتيلة لا بد من إشعالها؛ الفتيلة هذه هي نور العلم والإيمان التي أنت ستقومين بإعطائه إياه، هذه الفتيلة من أجل أن توقد قلبه نورا لا بد من إعطائه العلم، الزيت هو فطرته السليمة والزجاجة هي قلبه الصافي.

انظروا إلى أحوالنا؛ نحن كبرنا وفهمنا تفاصيل التفاصيل حفظنا جدول الضرب، ودرسنا القسمة ونظرية فيثاغورس...إلى آخره بعد ذلك لو أحد سألنا: ما معنى اسم الصمد؟ لا نعرف!

والله نستحي من ربنا؛ هذه الحال تدل على شدة انقلاب في الأولويات، لا توجد أولويات في عقولنا، بمعنى نحن مرت علينا هذه المرحلة وعشناها فلا نعيد المشكلة من جديد مع أبنائنا.

اعلم أن أعظم معلوم أن تتعلم عن ربك {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}[1]، فهذا مقصد خلق السماوات والأرض.

لماذا كان الخلق والأمر؟

لتتعلم عن الله ثم تعبده، العبادة بمعنى الذُّل والانكسار، العبادة مبنيَّة على المحبة والمعرفة والتعلُّق والتعظيم، فالعباد من أين سيأتون بالتعلق والتعظيم؟ لا يأتون به إلا من باب العلم عن الله، فالعباد في هذا الباب في جهل عظيم، ثم بعد هذا الجهل عدم شعور بالحاجة، عدم الشعور أننا ينقصنا شيء، فهذا أورثنا شعور أن العبادات كلها من باب العادات، لا توجد مشاعر شوق تدفعني، ولهذا السبب عندما ندخل على رمضان المفترض أن أول يوم يكون إيماني أقل من ثاني يوم، ثاني يوم يزيد إيماني لزيادة الأعمال الصالحة؛ فيزيد حماسي في الطاعة، ثالث يوم أكثر إلى أن أصل إلى العشر الأخيرة أجد نفسي وصلت إلى القمة، لكن نحن ماذا يحصل لنا؟ بالعكس ندخل متحمسين وبعد ذلك تقل أعمالنا الصالحة!

إذًا توجد هنا مشكلة أن الإيمان لم يزد، أين القلب؟ أين العناية به؟! ولذلك اتفقنا أننا سنتعلم أولًا عن الله وعن أسمائه وصفاته لكي أغتنم كل المواقف وسوف تأتيني في النقطة الثانية كيف أستفيد من علمي هذا.

تأتي المسألة الثانية التي لا بد أن تتعلَّمها:

تعلَّم عن أمراض القلوب

هذه المسألة مهمة جدًا لا بد أن تفهموها بتوازن مع ما مضى: أن الله تعالى كما أعطانا في هذا الطفل قلبًا صافيًا كذلك لا بد أن يعطينا شيء من العيوب، فكل الناس مع صفاء قلوبهم من جهة الألوهية واعتقادهم أنه لا بد أن يكون للكون إله فاطر رب، وأن الله خالقه وكما اتفقنا أنه يشعر بالضعف ويشعر أن هناك قوي واحد إلى آخر ما ذكرنا. لكن يبقى عندهم شيء من

(1) [سورة الطلاق: 12]

الإشكالات النفسية الناتجة عن طباعهم لأن هناك طباع حسنة وطباع سيئة، فيأتي الطفل هذا ومعه شيء من الإشكالات النفسية وينموا أمامك مثلًا يحقد، ينموا الطفل أمامك يكذب، ينموا الطفل أمامك يريد إبراز نفسه، ينمو الطفل أمامك يحب أن يُحمد بما لا يفعل، وأنتِ تلاحظين هذه الصفات وتقولين: يكبر ويعقل! بل يكبر وتقوى في نفسه تلك الطباع لدرجة أنه لا يستطيع التخلص منها، ما لم تُهذَّب.

فلا بد أن تفهمي أن الله تعالى أخبر في كتابه أن القلوب تحمل شيء من الخبث لكن عندما يدخل العلم ماذا يحدث في هذا الخبث؟ يخرجه إلى الخارج مثلما ذكر تعالى في آية سورة الرعد: {أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ} ما معناه؟

- {أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء} هذا هو العلم.
- {فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} هذه الأودية هي القلوب.
- {فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا} هذه الأمراض التي داخل القلوب.

عندما يأتي السيل ماذا يفعل؟ يلمُّ الأوساخ ويخرجها إلى فوق، كذلك العلم عندما يأتي على القلوب ماذا يفعل؟ يخرج هذه الأمراض إلى الخارج ثم يبدأ في علاجها، يتحرك السيل إلى أن يطرح وسخهُ، وكذلك هذا العلم يتحرك يتحرك في القلب حتى يطرح وسخه.

إذًا مُثِّلت لكم النَّفس الإنسانية بمثالين الآن:

- الأول: من آية سورة النور فهمتم أن النفس الإنسانية عبارة عن تركيبة ثلاثية وهي: الزيت الذي يمثِّل الفطرة السوية، الزجاجة التي تمثِّل القلب الصافي، الشعلة والفتيلة التي تمثِّل نور العلم والإيمان، فيأتيني الطفل ومعه فطرته السوية ومعه قلبه الصافي وأنا مطلوب مني أن أشعل له فتيلة نور العلم والإيمان، ولا تعتقدي أن هناك تناقض بين هذه الآية وآية الرعد.
- الثانية: آية سورة الرعد تقول القلب هذا ليس صافيًا إنما فيه شيء من الأمراض.

مرَّة قلت إن القلب صافٍ في سورة النور ومرَّة قلت إن القلب فيه أمراض؟!

نعم، القلب صافٍ من جهة ما يعتقده في الألوهية، نحن اتفقنا أن من فطرته السوية شعوره بالحاجة والضعف الشديد، وأيضًا أن هناك واحد كامل الصفات لا بد أن يكون موجودًا تلجأ إليه النفوس تضطر إليه، لا بد أن يكون غنيًا. هذا صفاؤها أنه صافٍ من جهة الألوهية، لكن كل العباد–ونحن نشهد على أنفسنا–يأتون ومعهم من طباعهم ما يكون عبارة عن أمراض.

فإذًا هنا عندما نتكلَّم عن القلب من جهة أن الله ابتلى النفوس بشيء من النَّقائص المفترض ماذا أفعل طوال الحياة؟ أزكيها، أزكِّيها بماذا؟ بالعلم.

الآن كيف وصفت آية الرعد القلوب؟

وصفت القلوب مثل الأودية: {أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء} هذا العلم {فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} الأودية هي القلوب {فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا} ماذا فعل العلم؟ أخرج من القلوب ما ابتليت به من أمراض، وبعد ذلك يأتي في آخر الآية: {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ}.

السيل ماذا يفعل في الزبد؟ يتحرَّك يمنة ويسرة إلى أن يطرده، والعلم ماذا يفعل في الأمراض؟ لا زال يُجاهد ويُجاهد إلى أن يتخلَّص منها.

فهمت أمرًا ثانيًا الآن: أنَّ طفلي هذا عندما يولد، يأتي اعتقاده صافيًا من جهة الألوهية ومن جهة فهمه عن الله، ومن جهة أخرى لا بد أن تكون عينك عليه لآنه ستظهر عليه أمراض لا بد أن تفهمي هذه الأمراض وتعالجينها.

فصار الشيء الثاني الذي لابد أن نتعلَّمه: نتعلَّم عن أمراض القلوب.

وعندما تتعلمين ليس طفلك هو الذي ينتفع فقط، بل أنتِ أول من ينتفع بأن نبدأ نفهم أن القلوب يمكن أن تبتلى مثلًا-كما هو مشهور عندنا-بالحقد والحسد، توجد أشياء خفية دقيقة تعتبر حسدًا وعندما تتعلمين أمراض القلوب يتبيَّن لكِ.

قد يُبتلى مثلًا بإرادة العلو دائمًا يريد أن يكون إخوانه أقل منه وهو فوق لو لعبوا لعبة وفازوا عليه يقوم يضربهم لأنه لا بد أن يكون هو في المكانة العالية، ولا يريدك أن تمدحي أحد أمامه! هذا كله يُشعركِ أن هناك أمراض، وعليكِ أن تكوني دقيقة الملاحظة.

مثلا: يأتي موقف تدخلين البيت على بناتك وتقولين: ماذا فعلتم في الخزانة؟ تأتيك واحدة تقول لك: نحن رتبنا لكِ وفعلنا لكِ كل شيء. تتكلم بأعمال ما قامت بها، بل أخواتها هم الذين قاموا بترتيبها، وهي صحيح شاركتهم لكن هي تأتي بسرعة حتى يكون كل الثناء لها، يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

أنت لا تهاجميها؛ عندما تفهمين الأمراض تفهمين أن الله ابتلاها بذلك، فأنتِ سوف تتعلمين وتفهمين وتبثين العلاج.

مثلًا عندما يكون ولدكِ في قلبه إرادة العلو، طوال الوقت قولي له: ((لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))[1]، لا يجوز أن تشعر أنك لا بد أن تكون أعلى منه، إلاَّ أن تكون مريضًا هذا المرض في قلبك.

نحن الآن كبرنا ونحن لا ندري أصلًا أن القلوب تمرض ما كانت تمرُّ على بالنا كلمة (أمراض القلوب) أبدًا إلَّا بعد أن علَّمنا الله؛ فهذه مشكلة، فالمفترض أن يُفهَّم الطفل وهو صغير أن قلبه هو موضع نظر الرب مع أننا جميعنا نحفظ حديث: ((أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ))[2] وحديث: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))[3] كل هذا محفوظ عندنا لكن لا نحن منتفعين به ولا من نربيهم منتفعين به!

المقصد الآن، أنك عندما تتعاملين مع الطفل اتركي مظهره تمامًا؛ لأنني لا أحتاج أن أوصيكم على مظهره فكلنا أيدينا تعمل وأقدامنا وكل شيء فينا من أجل مظهره وننتظر من الناس أن يثنوا على ملبسه وجماله وابتسامته وضحكته، على كل شيء، وغافلين تمامًا عن الذي داخل قلبه؛ فالآن كل التركيز على القلب.

المقصد من هذه الخطوة:

أن تتعلمي أسماء الله فتبقي تبثينها طوال الوقت، وليس المقصد من هذا أن تضعي طفلك وتدرسينه وتقولين له: اسم الغفور كذا اسم الشكور كذا، ستأتي في الخطوة التي بعدها الطريقة.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، 13)

(2) رواه البخاري (52)، ومسلم (1599) واللفظ له.

(3) رواه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، 2564)

الشيء الثاني: تعلَّمي أنت عن أمراض القلوب سوف تعالجين أمراضك وسوف تكتشفين أمراض الذين من حولك، ثم اعلمي يقينًا أن أولادك يعكسون شيئًا ممَّا في قلبك، فعالجي نفسك، فأصبحنا نحن وهم سواء في الحاجة إلى العلاج.

إذًا تعلَّمي يتعلم منك...هذا يعتبر المحور الأساسي، ثم-بفضل الله-بمجرَّد أن يبدأ الطفل في طلب العلم، سوف يحمل عنك حمل ثقيل في باقي معتقد أهل السنة والجماعة سوف يسير مع التعليم، سيتعلم معتقدنا في كل المسائل-بفضل الله-سيعرف ما علاقته بالقرآن وما علاقته بالإيمان وما علاقته بالتوحيد وما علاقته بالأعمال الظاهرة والباطنة، فالباقي كله سوف يأتيه من جهة التعليم بقي عليك أنك ماذا تفعلين؟ هذا الذي يأتي من التعليم ليس شرطًا أن يكون عميقًا كما ينبغي، بمعنى أنه ليس شرطًا أن المعلم الذي سيدرس له سيكون عنده تلك القوة والكفاءة في التدريس فغضي الطرف عن المعلم واعتبري أنك أتتك فرصة لتعليمه باقي ما يجب أن يعتقده بحصة خصوصية بأنك تدرسينه من الكتاب الذي أمامك، مثلًا عندما يكون عنده رياضيات وتوحيد وتقولين: أعطني الرياضيات! وماذا عن التوحيد؟ تقول: والتوحيد حَافظ حَافظ! وهذا الذي يحدث، المفترض بالعكس، المفترض أول شيء يأتي التوحيد وتقولين له: هل تعرف ما معنى الطواغيت؟ هل تعرف من هم؟ حولنا طواغيت، الطواغيت ليس شرطًا أن يكونوا أناسًا بالخارج، بل كل شيء تتجاوز به الحد يسمَّى طاغوتًا، هل تعرف أن الطبيب يمكن أن يصبح طاغوتًا، كيف؟ عندما تتعلق به أنه يشفيك، هكذا رفعته فوق مكانه، المفترض أن تضعه في مكانه، متى يصبح طاغوتًا؟ عندما ترفعه فوق مكانه، النجوم يمكن أن تصبح طاغوتًا، كيف؟ عندما تتعدى مكانها وتعتقد فيها أنها تعلم الغيب.

فالكتب هذه التي تدرسيها للمدرسة تكون بالنسبة لك فرصة وطريق لتعميق المفاهيم، أنا لا أشكك في التعليم لكن نقول: دعونا نفترض أنه لا يوجد عنده معلم كفء، فكوني أنتِ المعلم الكفء، ولو كان عنده معلم كفء، جميل سوف يتعاضد الطرفين، أنتِ في البيت والمعلم، فلا تُمرر مراجعة مواد الدين تمريرًا يشعره أنه شيء ليس مهم، فيشعره أن مثل هذا الكلام روتيني نحن لسنا بحاجة إليه.

إذًا هذه الخطوة وُفِّرت عليكِ من مناهجه، بمعنى أنه سوف يذاكرها لزامًا، أنا الآن أفترض أن المدرسة ليست على القدر المناسب الذي أرجوه؛ لا بأس اعتبري ذلك واعملي له درس خصوصي.

الآن ماذا تفعلون إذا كان معلم اللغة الإنجليزية غير ماهر؟ تأتون بمعلم. وكذلك لو معلم الرياضيات؛ لكن لو معلم التوحيد غير ماهر، ماذا نفعل؟ لا شيء! يكون في قلوبنا المهم أن تأتينا ورقة في آخر السنة فيها أسئلة وأجوبة يذاكرها ويدخل الاختبار وانتهى الأمر، هذه مشاعرنا!

أنت تعامل الله في هذا كله والله تعالى المطلع على ما في قلبك وعلى ما تهتم، فلا بد أن تجد أن هذه فرصة لغرس العقائد وهو رغمًا عنه جالس ويسمع درسك، فكأنك تعطيه درس ومع ذلك ينتفع مما كُتب له وما فهم، ونعيد ونزيد في نفس الكلام على أننا ندرس، ونحن مقصدنا إيصال هذا إلى قلبه وليس إلى ورقة الاختبار.

تأتي النقطة التي بعدها التي هي:

2- استعيني ينتفع بكِ.

استعيني هذه كلمة أنت تحتاجيها في كل الحياة وأنت تربين ولدك وأنتِ تعاملين زوجك وأنتِ تعيشين، فالدنيا كلها دائرة حول {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} هذه عبادة من أعظم العبادات المغفول عنها؛ والمقصد أن كثير منا عندما عامله الله بحلمه فأعطاه الحول والقوة للقيام بالأعمال، وقع في قلوبنا الاغترار، فشعرنا أن القوة ملكنا وشعرنا بمشاعر أننا لسنا محتاجين أن نطلب العون من الله، حتى (بسم الله) التي نقولها وهي التعبير عن الاستعانة، باردة ما فيها مشاعر الحاجة الشديدة لعون الله مع أننا نقول من أذكارنا والتي نعلم أنها كنز من كنوز الجنة نقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله" بمعنى أنك تقول: أنا لا أملك حولًا ولا قوة لفعل شيء إلا أن يعطيني الله الحول والقوة، هذا تفسيرك. وعندما يؤذِّن المؤذن ويقول لك: حي على الصلاة حي على الفلاح. تقول: يا رب أنا ليس لي حول ولا قوة على أداء ما فرضته عليَّ إلَّا أن تعطيني الحول والقوة، ثم وأنت خارج من بيتك تقول: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله ما معناه؟ يا رب أنا لا أستطيع تحصيل مصالحي إلا بالتوكل عليك وأن تعطيني يا رب الحول والقوة للقيام أو لتحصيل مصالحي. إذًا هذه مشاعر لا بد أن تكون مستقرة داخل نفسك.

وأنت تقول في الأذكار: أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، مَن هذا الذي يقول لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ما هي مشاعره؟ شدة الضعف.

لكن تعالي ننظر إلى حياتنا هل نشعر بضعفنا حتى أننا لا نفعل شيء إلا ونستعين به؟! وورد فيما ثبت أن عائشة-رضي الله عنها-كان عندها امرأة تغزل غزلًا فسألتها عائشة-رضي الله عنها-: هل ذكرت اسم الله عليه-هل قلت: بسم الله؟-قالت: لا، قالت: انقضيه.

انظري لهذه الدرجة، ما ينفعك الشيء الذي لم تذكر اسم الله عليه ولم تستعن بالله على تحصيله لا ينفعك، وأنت ترى اليوم القوم يأكلون أحسن أكل وأنظف أكل ولا ينتفعون منه، والسبب أنه لا ينفعهم بما يأكلون وبما يشربون وبما يفعلون إلا الله.

فالمعنى أن الاستعانة عبادة وأننا اغتررنا بعطاء الله مع كثرة العطاء وتتابعه وتنوعه، فأصبح القوم لا يفكرون إلا في طاقاتهم وقدراتهم وينتظرون أن يحصلوا ما يريدون بقواهم ويتخيلون أنهم لو استعانوا تواكلوا! من قال لك: لو استعنت، فقد تواكلت؟! المفترض أن يبقى قلبك طوال الوقت معلقًا بالله لكن ما هي المشكلة؟ {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ} بمعنى: هل لأنه خلقك فسواك فعدلك وأعطاك الطاقة والقوة وهو الذي وهبك إياها يكون منك أن تغتر بما أعطاك! المفترض أن يورثك ذلك زيادة ذل بين يديه.

هذا الكلام عمومًا على مسألة الاستعانة، فلو أتينا في مسألة تربية الأطفال المفترض أن نضرب هذه المسألة في مائة بل في ألف من جهة شعورك أنك لا تملك لهم نفعًا ولا ضرًا، لا تتصور أن ما تقوله هو الذي يقع في قلبهم إنما ما يحمله الله من قولك هو الذي يقع في قلبهم، الذي ينفعهم بقولَك هو الله، ما ينتفعوا بقولك أنت بل ينتفعوا بما يعينك الله على فعلهِ ويعينك على نفعهم به، فصار الانتفاع لست أنت مصدره؛ مصدره من عند الله فهو الذي ينفعهم-سبحانه وتعالى-بما تقوله وبما تفعله.

فأصبحنا الآن نحن بحاجة إلى تصور أن العلاقة بيننا وبين هؤلاء الأطفال علاقة بعبادة الاستعانة بالله.

لو ابتليت بطفل يكذب-لا تكلمني عن أي استشارات الآن قبل كل الاستشارات-أول الأمر الذي خلقه هو الذي يعينك على أن ينصرف منه هذا الكذب فاستعن به أولًا، ثم لا بأس استشير، ووقت ما تستشير هات الاستشارة وتعال نفِّذها عليه وأنت مستعين فأصبح الذي ينفعك هو **الله**، والاستعانة به، اطلبي منه أن يَدلك وأن يهيئ لك ظروفًا بها تنحل هذه المشكلة.

لا تنسَ هذه القاعدة:

أن كل ما ابتلاك الله به في طريقك إنما هو أمر أراده الله لك لتستعين به.

نصور الموقف: الآن الزوج أتى من الخارج أول ما تقبلين عليه وأنتِ تحملين همّ رضاه ماذا تفعلين؟ تفكرين في عقلك ما الذي يرضيه من فعل كذا وكذا. جميل؛ لكن كل هذا الذي تفعلينه يمكن أن يقع موقعا عكسيًا لماذا؟ لأنكِ اتكلتِ على أعمالك، والمطلوب أوّل الأمر: أن تطلبي العون من الله، وهذا بقلبكِ؛ عمل قلبيّ تطلبين العون من الله، تطلبين منه بلسانك أو بقلبك أن يعينك على رضاه، أن يعينك على تربية أولادك.

أم موسى-عليه السلام-عندما خافت عليه ماذا قيل لها؟ {فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ}[1] بمعنى أنك عندما تستعين بالله تعالى يهيئ لك الظروف والأحوال التي تعينك على حل هذه المشكلة فالذي ينقصنا في هذا الباب قوّة ثقتنا بالله، نحن عندنا مشاعر أن الله تعالى على كل شيء قدير وأنه-سبحانه وتعالى-ينفع عباده...إلى آخره؛ لكن في الواقع بالتفاصيل ليس عندنا قوة استعانة به، بمعنى أنني عندما أقول لك: رمضان قادم وعليكِ ترتيب أحوالك وأوضاعك مع الطاعة ومع العبادة ومع أبنائك ومع شغل البيت وإلى آخره. تقولين: هذه مشاغل كثيرة، وأنا أريد أن أستفيد من وقتي.

نقول: الآن إياك نعبد ما تأتي إلا بـ إياك نستعين؛ لو أردت أن تقرئي كتاب الله وأن تقرئيه عدة مرات، اطلبي من الله استعيني بالله، اسأليه أن يسددك وأن يبارك لك في وقتك، علِّقي قلبك به، وأنتم تعلمون أن فاطمة-رضي الله عنها-عندما سألت الرسول-صلى الله عليه وسلم-خادمًا أمرها بلزوم التسبيح والتكبير والتهليل، لماذا؟ لأن هذا نوع من أنواع الاستعانة بالله، فإذا لزمت التسبيح والتكبير والتهليل بنية استجلاب العون من الله، يعطيها الله البركة في وقتها، البركة في جهدها، في طاقتها، يُقلِّل عليها المسؤوليات، يَسدّ عنها كثير من الحاجات، فتُقضى ثغراتها، هذه مشاعر من يعيش في الأرض على قدميه لكن قلبه معلق بربه.

كمثال على الاستعانة، نحن من عادتنا في البلد أننا نقضي لأولادنا لعيد رمضان؛ كأنهم لم يلبسوا سابقا! وكانت العادة في الزمان الماضي في رمضان، لكن الحمد لله الآن تحسنت الأحوال فصاروا الناس يقضون في شعبان، مثلا عندك بنت عمرها 13 أو 14 سنة هذه ليست كبيرة مع الكبار ولا هي صغيرة مع الصغار وإلى آخر الكلام الذي نقوله وأنت الآن ذاهبة للسوق وحاملة همّ أن تجدي لهذه البنت، هذه مشاعر موجودة، الآن من منا يفكر في قول الله تعالى في الحديث الإلهي: ((يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ))[2] ؟!

عندما نقوم في الصباح نفكر ماذا سنطبخ؟ -كل يوم هذه المشكلة الكبيرة العظيمة وهذا من كثرة نعم الله علينا الحمد لله-ما يمر على خاطرنا: ((يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ))[3] نشعر أن هذا فقط للناس الجياع أما نحن فلا؛ نستطيع أن نذهب نأتي لأنفسنا بالطعام! وفي الحقيقة لسنا نحن من نستطيع أن نأتي لأنفسنا بالطعام.

رأيتم كيف تحصل المصيبة! بسبب عطية الله بدلًا من أن يقع في قلبك زيادة ذلّ بين يديه وزيادة استعانة به، يقع العكس، يقع الاستغناء عنه! ولذلك وقع لكثير من المستقيمين-الآن أتكلم عن التربية-الذين منعوا في بيوتهم كل وسائل الفساد، أن أتى في أبنائهم فساد ما كان يُنتظر. فيأتي الناس البعيدين عن الدين يقولون: رأيتم هذا الذي حصل لأنكم عقدتموهم! طبعًا ليس هكذا

(1) [سورة القصص: 7]

(2) رواه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، 2577)

(3) رواه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، 2577)

الجواب: الجواب فتِّش في نفسك، من المؤكد أنك عندما دفعت وسائل الباطل عن أبنائك شعرت أنهم لن يفسدوا فاتكلت على نفسك، فكانت العقوبة أن يُفسدهم الله، فأنت تقول: ماذا أفعل أكثر من هذا؟ وتقول: هي القضية بسبب الصحبة وغيره.

نقول: لا، هي القضية أنك تُجازى الآن، تُجازى على ترك الاستعانة بالله، ((مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ))[1].

هل هذا معناه أننا لا نأخذ بالأسباب؟ لا؛ خذها لكن ولا في لحظة واحدة تعتقد أنك عندما تأخذها سينتهي الموضوع، أنت خذها فقط حتى تدخل في حديث ((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))[2]، لكنك متيقِّنًا أنه لن يحفظهم إلا الله ((احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ))[3] احفظ الله بقلبك، احفظ الله بالاستعانة بالعبادة بالطاعة بالاستقامة، وأنت متأكد أن الله لن يخذلك، هو عبد وُكِّل إليك شيء من أمره ابتلاءً لك، هو عبد يرعاه الله.

ألم يقل الله في سورة الضحى:

* {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى} من الذي آواه؟ الله-عزَّ وجلَّ-.
* {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} من الذي هدى؟ الله-عزَّ وجلَّ-.
* {وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى} من الذي يغنيه؟ الله-عزَّ وجلَّ، حتى لو كان طفلًا صغيرًا فالله تعالى هو الذي يهديه، هو الذي يغنيه هو الذي يعطيه لست أنت، لكن هو في طريقك حتى يختبرك تستعين بالله أم لا تستعين، لا بد أن تتصوروا أن أبنائكم بلاءات واختبارات في الاستعانة والدعاء والانكسار والإخلاص وسوف تأتينا باقي الاختبارات.

بمعنى الآن صفة تظهر في طفلك أو حال يظهر في طفلك، ماذا تفعل لكي تصلحها؟ استعن بالله فلا تسأل بعد هذه الاستعانة كيف سيهيئ الله لك ظروف الإصلاح، ستجد أنها تُهيّأ لك ظروف الإصلاح ويعينك الله ويفتح عليك ويُلهِمك من الأفكار ومن الأحوال ومن الأوضاع ما تستطيع به أن تُصلح هذا الابن.

3- أخلصي يُبارك لكِ.

ما المقصود بالإخلاص هنا وأنا أربي أولادي؟ بمعنى ستُخلِّصين نيتك من شوائب التربية، ففي كثير من الأحيان يكون عندنا مقصد المراءاة ونحن غير شاعرين، ما هي الشوائب التي لا بد أن أخلِّص منها مقصدي في تربية أبنائي؟

من مِن الناس تلاحظين حولك؟ بمعنى يمكن أن أُلاحظ حماتي وأولادها مثلًا، وكل تفكيري ألَّا يكون أولادي أقل منهم وإذا هم نجحوا في الدنيا، أنا أحفظ أولادي القرآن وآتي بهم وأقول لهم: اقرؤوا! لماذا هذا كله؟! حتى نريهم أننا أفضل منهم! توجد شوائب داخلنا ولسنا شاعرين بها، يمكن ألَّا يكون هؤلاء القوم، قد يكونوا جاراتي أو صاحباتي أنت ابحثي في قلبك لمَن تلتفتين ويهمك جداً أنك كلَّما تقدمتِ خطوة في التربية تعرضين عليه آثار تقدمك وآثار ما فعلتِ؟ وكيف أننا ننجح ونحصل على الشهادات العالية ونغيظ هؤلاء ونقهر هؤلاء! وكثير من الأحيان يجري كلام على ألسنتنا ونقوله لأبنائنا-مثل: فضحتنا أمام الناس أو أمام أهلنا-يشعر منه الطفل أننا ندور حول هؤلاء الناس نريد رضاهم.

---

(1) رواه الترمذي (2072)، وحسَّنه الألباني.

(2) رواه البخاري (2409)، ومسلم (1829) باختلاف يسير.

(3) رواه الترمذي(2516)، وصححه الألباني.

مثلًا تأتي في موقف يُقال لك هات ولدك ندخله يحفظ القرآن، أول شيء تتردد وبعد ذلك عندما تعرف أن ولد الجيران سيذهب، توافق؛ لأنك خائف من أن يكون ولد الجيران أحسن منه! فلا بد أن تفهم لماذا تفعل هذه الأفعال؟ لماذا توافق على هذا المشروع ولا توافق على هذا؟ لماذا ترسله هنا ولا ترسله هنا؟!

المقصود أن يكون القائم في قلبك مشاعر:

- أنك تتقرب إلى الله بتربيتهم.
- تريد أن يرضى عنك الله.
- تريد أن تقوم بما يجب عليك.
- لا تلاحظ رضا الناس ولا مدحهم ولا ثناءهم، لكن لو أتاك فالحمد لله، ولو لم يأتك فلا يكون مقصدك ولا تحمل همّه.

ولذلك الأمهات يُختبرون؛ تأتي مثلا تريد أن تبيّن أن ولدها يصلي، فتقول له: قم للصلاة. فيقوم الولد أمام الناس ويسأل أمه: هل ركعتين أم ثلاثة؟! فيأتي رد طفلك عليك تربية، هذه البنت أصلًا تصلي، لكن بسبب أن الأم قام في قلبها المفاخرة بفعل ابنها أو ابنتها جاء الجواب بهذه الصورة، فهي مباشرة تقول لها: لماذا هل أنت أول مرة تصلي؟! وفي الحقيقة تكون ليست أول مرة تصلي، لكن جزاءً وفاقًا لأن أنت أردت أن تتفاخري؛ أتاك مثل هذا الرد.

مثل هذه التربية تأتي لِمَن يحبه الله، لكن بشرط أن يفهم ما يرد، لكن للذي مات قلبه لا يفهم فعل الله، وهذه مشكلة، تأتي وتقول: ابنتي فضحتني كأنها لم تصلِّ من قبل. هي أخطأت، فالله يعامل العباد على ما قام في قلوبهم.

كم من المرات قال لك في كتابه إنه عليم خصوصًا بذات الصدور فيُعاملك على ما قام في قلبك ويُنجع لك أحوالك ويُنجها لك على قدر صدق إرادتك رضاه.

لا بد أن تكون صادقًا وتحرر هذه المسألة دائمًا تعيد وتزيد في نفسك: ماذا أريد من إحساني لتربيتهم؟! أنا أريد أن يكونوا ذخرًا لي في الدنيا وفي الآخرة ينفعوني عندما أدخل قبري بدعوة صادقة في جوف اللَّيل يُضاء بها ظلمة قبري، أُريد منهم يوم القيامة أن يثقلوا ميزاني بأعمالهم الصالحة التي ستكون بميزاني مادمت أنا التي أرشدت وفعلت وبقيت أكرر عليهم وأكرر.

لذلك الصدق والإخلاص ليست نية تبدأ من ولادة الطفل، هذه النية تكاد تحتاج إلى تجديدها مع كل المواقف.

وهذه النية منصوص عليها في كتاب الله، قال تعالى: {قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} فالمفترض أن تجمع قلبك على نية أنك تفعل هذا كله من أجل وقايته من النار، كأنك تسد أُذنيك وتغمض عينيك عن كل الانتقادات، بعد ذلك لا بد أن تفهم أنه عندما يأتيك طفلك هذا ومبتلى بشيء من الأمراض القلبية التي لم يبتلى بها غيره، لا تقول: أولاد غيري-الحمد لله-ربنا هداهم، وأنا ولدي عنده أمراض قلبية. بلائي أكبر لأن الأجر أكثر، عندما ترى نفسك مبتلًى به افهم أن الله تعالى أراد علوَّك من هذا الباب فلا تقل: هؤلاء أقل استقامة وأولادهم أكثر هداية وأنا كذا وكذا وأولادي لا يحبون كذا وكذا من الاستقامة ومن الهداية ومن أعمال الخير!

لا تعامل ربك بعدم الرضا عما أعطاك بل الله تعالى أتى بهم بهذه الصورة من أجل أن يرفعك ويرفعهم لأن جهادك فيهم وتكرار الكلام عليهم لا بد أن ينفعهم المهم افهموا أن إخلاص النية في تربية الأبناء مسألة تتكرر بقدر المواقف التي تعيشها أنت.

4- اعملي يقتدي بكِ.

وهذه القضية واضحة جدًا في فهمها، وهذا المقصود به أعمال الأبدان وأعمال القلوب، في أعمال الأبدان أنت تتصورين المسألة؛ بمعنى أصلي سوف يصلي معي سيقلدني تمامًا، بمعنى حتى لو كان ولدًا وأنا ألبس ثوب الصلاة وأغطي شعري سوف يفعل مثلي من كثرة درجة المحاكاة، وهذه أحد أهم عطايا الله في التربية أن أعطاكِ إياه وعنده علو في درجة المحاكاة، محاكاة شديدة -سبحان الله-.

عندما يأتون أطفال عندهم فرط الحركة، -فرط الحركة والنشاط هذا درجات-زمان نحن كنا نقول عن الطفل الذي عنده فرط حركة: شيطان. لأنهم يكونون متعبين في التربية من جهة قوة حركتهم الدائمة، مع بلاء فرط الحركة يأتي الله تعالى بنوع من الدواء وهو المحاكاة؛ يكون عندهم فرط حركة فتجده يتحرك ويتحرك ولا يجلس إلاَّ عندما يأتي وقت النوم ذاك الوقت ينام، وهذا أمر ليس بيده، وفي المقابل عندهم محاكاة عالية أعلى من غيرهم، أعلى من الطبيعيين، فهذا نوع من تبريد القلوب أن يكون شديد المحاكاة حتى بالكلام؛ عندما تقولين له جملة يكررها بالضبط؛ فهذا نوع من أنواع العطايا، والطفل الطبيعي تكون عنده محاكاة لكن أقل.

المقصد أن تفهموا أن من عطايا الله تعالى أن يكون الطفل-خصوصًا دون السادسة-قَويٌّ في محاكاته، اغتنمي هذه الفرصة ومادام هو قوي في محاكاته إذًا ابرزي ما استطعتِ من أعمال الأبدان سواء كان في صلاة أو إخباره بالصيام والإفطار وطريقة قراءة القرآن ومسك القرآن وتعظيمه، اجعليه معك في كل شيء اجعليه ينظر بعينه، أنت اعملي يقتدي بك.

عندما تأتِني أي أم وتقول: ولدي يَسب. من أين أتى بهذا؟ لا بد من محاكاتهم هو لن يقوم من النوم يسب مباشرة! لا بد أن يكون هناك من قال له هذا الكلام.

فالمحاكاة مسألة من عطايا الله، المفترض أن يكون عندنا قوة اغتنام لها.

يؤسفنا أن كثير من الأمهات يُسلِّموا أبناءهم بشيء من الاستهتار لأندادهم، مثلًا أختي أو أخوات زوجي، فهؤلاء الجماعة البعيدين عن الأمومة أو يمكن أن يكونوا أمهات لا بأس؛ لكن بعيدين عن الشعور بالمسؤولية، يضع الطفل أمامه يجعله مثل اللعبة فيقول له كلام بذيء يجعله يرد بنفس الألفاظ يرتب له أوضاع استنكار، مثلًا: يمسك كتاب ويرميه فالطفل هذا ماذا سيتعلم؟ سيفعل مثله.

فأنت الآن عندما يكون عندك شيء من الإهمال في تسليم هذا الطفل لأحد أمين وهؤلاء يمكن أن يكونوا أخواتي أو أخوات زوجي يمكن أن يكونوا جاراتي، مثلًا: أخوات زوجي كبار عاقلين مربين لبناتهم، لكن بناتهم الذين هم في المتوسط مثلا أو الثانوي - مثل هؤلاء مستهترات غير شاعرين بالمسؤولية - تأتي وتعلِّمه كلمات أو تصرفات، وليس شرطًا أن تكون التصرفات أو الكلام بذيء أحيانا لا قيمة له، أحيانا تعلمه مثلًا أسماء فنانين أو أسماء قنوات وأنا أكون محافظة عليه، ومثلهن أيضًا الخادمات؛ فهذه المشكلة (مشكلة المحاكاة) لا بد أن تبرز في ذهنك أن الله تعالى أعطاكِ إيَّاه إلى 6 سنوات صافيًا، كأنه مرآة وتنعكس القيم العليا عنده بالمحاكاة.

الطفل عنده مسارين في القيم العليا:

1. بالتلقين.
2. بالمحاكاة.

القيم العليا التي لقّنتِه إياها يتأخر بروزها، لكن الذي يبرز بسرعة وتنظرين له هو أي نوع؟ نوع المحاكاة، على ذلك انتبهوا ((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)) كونك تضعين هذا الطفل في يد أحد، قد يكون مجتمعنا صار عنده وعي بالنسبة للخادمات والخوف منهم، لكن مشكلتنا الآن في الأقارب-أخواتي وبنات أخواتي وأخوات زوجي وبناتهم...- فمثل هذه يأتي بالتقاطات غير متصورة، وبعد ذلك ننظر للطفل صغير على أنه لعبة! يعني شدّة صفاء وشدّة براءة وفي المقابل شدّة استهتار!

أنت تتحملين الأمانة، كونكِ تسمحين لهم بمشاهدة المسلسلات، فهذا يعني القضاء على فطرتهم السويَّة! فسيكبرون ويبقون يجاهدون هذه الصور التي التقطوها، لا تتصورون العذاب الذي يعيشونه لكي يستقيموا!

للأسف في علاج كثير من حالات الوسواس من جهة حاجتها الجنسية أصبح مثل الوسواس القهري، وهي بنت فتقول: أنا لا أستطيع أن أنام، لا أستطيع أن آكل، السبب: صورة التقطتها وتشعر بتأنيب الضمير! فتحاول أن تدافعها، والشيطان يضغط عليها، لدرجة أن حالة من الحالات شابة صغيرة لا يتجاوز عمرها 24 سنة لكن الذي يراها يعطيها أقل شيء 40 سنة من كثرة تدمير الذات! دمها، وجسمها وبدنها تدمر، والسبب صورة التقطتها وتريد أن تستقيم وتجاهدها.

الكلام موجّه إلى المحافظين البعيدين عن هذا كله، واحد يريد أن يستقيم مع أبناؤه، ذكرنا في أول الكلام أن كل أسباب البعد عن الفساد لا بد أن تفعلها، ثم تأتي لي بمجتمع صافٍ، لكن عندما تأتي لي بمجتمع صافٍ لا تتصور أن صفاؤه معناه أنه سيخرج شخص صافيًا، بل لا بد من بذل الجهد. واتفقنا أنك لابد أن تتعلمي لكي تبثي في قلبه العلم، عندما تبثين في قلبه العلم سوف تأتيك فترة حرجة يصبح عنده شيء من المصارعة، بعد ذلك سوف يتجاوزها وتبقى القيم العليا التي وضعتِها في قلبه بإذن الله موجودة.

فلا تحملي همّه بقدر ما تحملي همّ أن يُبارك الله في زرعك

لهذا: أخلصي واقصدي الله، سيبارك لك في زرعك الذي تنبتيه في قلبه.

اتفقنا على (اعملي سيقتدي بك) وهذا سيكون عمل ظاهر وعمل في القلب، كيف سيقتدي بك في عمل القلب؟ عن طريق تعظيم الأمور وتهوينها. 5

5- ادعي له يَلن لكِ.

واعلمي أن الله عندما حَمَّلك مسؤولية أولادك فتح لك ثلاث طرق:

أولًا: فطرة سوية.

ثانيًا: باب الاستعانة.

ثالثًا: باب الدعاء.

الاستعانة والاستهداء، طوال الوقت أستعين بالله أني أربيه كما يحب ويرضى.

مثلا: عندما يأتوني البنات الصغار وتأتي الأم وتُحرِّم على طفلها الرضاعة الطبيعية، هذا شيء يحترق له القلب! كيف تمنعين رزق الله عن الطفل، إذا كنَّا نحن وقعنا في هذه الأخطاء بسبب الجهل، فلا بد من توعية البنات الصغار سواء كانوا مقبلات على الزواج أو في أول سنوات زواجهم، لا بد أن يفهموا أن الطفل ينشأ نشأة سوية بهذا الحضن الذي فيه الإرضاع الذي هو رزق من الله تعالى، رزق لا تمنعيه عن الطفل، فاسألي الله أن يعينك على أن تؤدي ما له من حقوق.

يأتي الحبل الثالث وهو الدعاء، حبل عظيم لا ينقطع؛ وعندما حمَّلَك الله مسؤولية الأبناء فتح لك باب السماء، تعلمون أن دعاء الأم من الأدعية المستجابة في أي وقت، بمعنى أننا لن ننتظر يوم الجمعة والساعة المستجابة ولن ننتظر الثلث الأخير من الليل، بل أي وقت تدعين يُفتح لك باب السماء، فهذه من العطايا التي لا بد أن تُستغل.

واتركي عنك كلام الناس الذين يقولون لكِ أنت سلبية. قولي لهم: ما عندي إلَّا باب الله، واسألي الله وألحّي عليه وعيدي وزيدي ولا تيأسي ولا تجعلي أحد يُيَئِّسك كلما رأيت منه بُعدًا.

تذكَّري موقف أم موسى، عندما أرادت نجاة ولدها والله أمرها أن تلقيه في اليمِّ. أنت بعقلك تقولين إن إلقاؤه في اليمّ سينجيه أم سيهلكه؟ سيهلكه! لكن هذا اليمّ هو السبب لأن يأتي ناجيًا من البر.

فأنت عندما ترين بعينيك ولدك، تدعين له وهو يبعد كأنه ذاهب إلى اليمّ، المهم كوني مطمئنة لفعل الله، ذهابه إلى اليمّ سيأتي به من البر.

لكن عندما تثقين بالله تعالى وتطمئنين لفعله لا يخذلك ولو كنت مليئة بالذنوب لأن دعاؤه وانتظار الفرج وعدم اللجوء إلَّا له بنفسه توحيد، والتوحيد كفارة للذنوب فلا تأتي تقولين: أنا مليئة بالذنوب لهذا السبب ربي لن يستجب لي.

ادعي واسألي وارجيه–سبحانه وتعالى–وانتظري فرجه، ولا تتصوري أبدًا أنه يخذلك، لأن كفارة ذنوبك التوحيد ((يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً))[1] بمعنى: لا تسأل غيري، لا ترجوا غيري، لا تنتظر من غيري خيرًا، المهم ألَّا تشرك به شيئًا ثم سيأتيك بقرابها مغفرة، فهذا بنفسه–اللجوء إلى الله–نوع من أنواع كفارة الذنوب.

ونحن تحصل لنا مواقف ونفهم هذه المسألة جيدًا، مثلًا أنا مع طفلي الصغير، عندما أريد أن أخرج ولا أريد لطفلي أن يأتي معي، ثم بعد ذلك يكتشفني ويبكي وأنا عند الباب أريد الخروج؛ قررت أن آخذه معي، فآخذ بيده أريد أن أرجعه غرفته لألبسه، وأنا أرجعه غرفته لألبسه هو يبكي، لماذا؟ لأن هذا الطريق عكس طريق الباب، الآن هو في تفكيره أن الذهاب من هذا الطريق معناه أني لن أخرج، مع أنك تذهبين به بالطريق العكسي لكي ترجعي وتأخذيه كما ينبغي. هذا هو الذي يحصل، الله تعالى يدبر شؤون ابنك على ألطف ما يكون فأنت في الظاهر تراها عكس مرادك والحقيقة أنه لا بد أن يسير بهذا العكس لكي يرجع كما ينبغي.

فلا تتعامل مع عطاء ربك بهذه الصورة، أنت ترى ولدك كأنه يغرق وأنت تلهج بالدعاء، اطمئن سيعيده الله أحسن ما يكون، لكن عقلك لا يحتمل أن يفهم ألطاف الله، لو جئت ووزنت نفسك في الكون وبعدما تسمع أن السماوات والأرض في كف الرحمن كحبة خردل، فلا تكلمني عن الأقدار؛ هذه الألطاف عقلك هذا لا يحتمل معرفتها، إذًا ادعوا له يلين لك.

لكن كيف يلين ومتى وما الصورة؟

---

(1) رواه الترمذي في سننه (3540)، وصححه الألباني.

اصبر، واعلم أن الأعمال بخواتيمها وأهم شيء ماذا يكون في الآخرة، العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية، كانت بداية يوسف -عليه السلام-في البئر...في الجب...وانتهى ملكًا.

نأتي الآن إلى النقطة الأخيرة وهذه النقطة نحتاجها في الحياة كلها:

6_اصبري يقبل منكِ

عامليه بالصبر، لا تتعجلي؛ نحن نتعجل في كل شيء، مثلا عندما يأتي لك بالخبر، تقولين عنه: كذاب، يطلب منك طلب، تَشُكِّين فيه أنه لا يحتاجه على الحقيقة في المدرسة، يسألك سؤالًا فتنهرينه، نحن نشتكي نفوسنا إلى الله من كثرة عدم تطبيقنا قوله تعالى: {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} ومن بينهم هؤلاء، هؤلاء في حكم السائل سواءً سؤال مادي أو سؤال معنوي؛ حتى لو أريد أن أقول له لا تتدخل في شيء لا يعنيك، أجد أن كل ما أملك من صوت وقوة وضخامة أرد عليه، وخصوصًا المرأة العاملة، لا تسألي عن فقدانها للصبر، تشعرين كأن الطفل داخل منظمة إرهابية! لأن بيتنا مُزيَّن وواضعين فيه مزهريات وتُحف وهكذا، فلا بد أن تمشي على الصراط المستقيم حتى لا ينكسر شيء، كلنا محبوسين في غرفتين والضيوف غير موجودين، ومحبوس لهم غرفتين، نرى صور كثيرة من هذا وكأن هذا ليس مننا وليس بضعة منا ولا تفكيرنا في مصالحه.

سنُحاسب عن كوننا لا نفكر إلا في مصالحنا، وبعد ذلك هذا يدخل البيت ويدخل المدرسة سواء، في الفصل ممنوع يتكلم في البيت ممنوع يتكلم في الفصل اجلس في مكانك في البيت اجلس في مكانك ليس بيته.

هذا الكلام يقابله أن تضغط على نفسك وتتخلى عن كثير من محابّك، اترك المجتمع لا تجري وراءه.

أناشدكم الله أن لا تحبسوا أولادكم في البيوت تاركين غرف للخيال، للهواء، الناس اليوم ما صاروا يدخلون بيوت الناس إلا بمواعيد، فلما يعدونا بموعد رتبوا بيتكم.

من العنف الأسري: الضغط على الطفل لكي يتجمد في مكان واحد حتى لا يؤذي شيء في البيت، قلا تحاول تُعطّل نشاطه اصبر عليه، أنت ستُرفع عند الله درجات. ((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)) ستُسأل عن هذا الحبس وهذا التضييق وهذا المنع.

أبدأ بالصغير، طوال الوقت يفتح باب غرفتي عليَّ فأقول له: اخرج وأغلق الباب! سوف تدور عليك الأيام ويكبر ويصير مراهق وعندما تأتي وتكلمينه يقول لك: أخرجي وأغلقي الباب! هذا الذي يحدث، يصبح قطع للحدود بينك وبينه وهكذا.

الشيخ السعدي ذكر أن من لطف الله إذا حمَّلك عمل يُرشدك إلى معينين له، من الإعانة أن هذا الصغير عندما تبذل طاقتك وأنت شاب معه وتأتي بعده بطفل، فيأتي الله تعالى ينفعك بالكبير ليساعدك في الصغير ويساعدك ويربيه وتصبحين أنت كالموجِّة المشرف وهذا يعمل، وهذا من النِّعم.

مقصدي ألَّا تعقّدوا مسألة التربية بقوانين ما أنزل الله بها من سلطان، كل القوانين دائرة على صورنا أمام الناس نريد صورة للبيت، صورة لأشكالنا، صورة لأوضاع أولادنا، ولذلك كثير من الأمهات الذين ابتلاهم الله بأطفال فيهم فرط للحركة يشعرون بالعقدة النفسية، لا يستطيعون أن يأخذوا أولادهم أي مكان لأنه لا يوجد أحد يستطيع أن يتحملهم.

على كل حال، المطلوب منكم الصبر، احذروا من إشغالهم بما يفسد عليهم عقولهم وأديانهم من أجل أن تكتفي شرهم، احذري من هذا واسألي الله تعالى بمنّه وكرمه أن يشرح صدورهم للهدوء والطاعة واسأليه-سبحانه وتعالى-بمنّه وكرمه أن يشرح صدرك لنفعهم وأن يرزقك الصبر لأن كل الحياة دائرة حول هذا قال تعالى: {وَالْعَصْرِ(1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}. ولا توجد صالحات مثل هذه التربية، تكوني مؤمنة وتغرسين في غيرك الإيمان.

{وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ} هذا الصغير ماذا تفعلين معه إلَّا أنك تتواصي بتربيته بالحق.

{وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} فاصبري واسألي الله تعالى أن يرزقك الصبر، وتعبدي الله بعبادة انتظار الفرج.

وتجد أن من أولادهم قد كبروا أو بناتهم، تجدهم عندما يلتفتون إلى الوراء لا يتذكرون تعبهم أبدًا، أو لا تتذكر إلا قليل من الأحداث، لكن الله يرزق الصبر ويزيل آثار التعب؛ قريبًا قريبًا كل الدنيا غمضة عين، تنتهي هذه الغمضة عين وترين وراءك آثار مباركة.

فأسأله-سبحانه وتعالى-بمنّه وكرمه كما رزقنا هؤلاء الأبناء فلذة الأكباد الذين نفدي حياتنا لهم نسأله-سبحانه وتعالى-كما رزقنا هذه النعمة أن يجعلنا من الشاكرين لها، وأعظم الشكر أن يوفقنا-سبحانه وتعالى-لتربيتهم كما يحب هو ويرضى.

والحمد لله رب العالمين